١٤١٥



صاحب الجلالة يوجه خطابا إلى الشعب المغربي بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

في كل يوم من هذا الشهر من كل سنة اعتدنا أن نلتقي ليحدث بعضنا بعضا.

ولا تخفي عليك شعبي العزيز أن خطب عيد الشباب كانت دائما هي التي أجد معها صعوبة، لأنه لا يمكن للموضوع أن يتكلم في الموضوع، فلهذا سأجعل من كلمتي هاته كلمة للمناسبة لا كلمة في المناسبة.

وأقول لك ــ شعبي العزيز ــ بعد شكري وامتناني لدعواتك لي بالصحة والعافية وطول العمر، وبعد معانقتي إياك ــ اعلم وفقك الله أن حياة الشعوب كحياة الأفراد تبدأ بالشباب ويتلو الشباب الكهولة ويتلو الكهولة الشيخوخة، في أطوار يتلاحق بعضها ببعض، أما بعض الشعوب وخاصة منها التي أنعم الله عليها بالخيرات المادية والمعنوية فإنها تجمع في آن واحد بين الشباب وقوته وعزيمته والكهولة واستمراريتها وتحليلها وتقويمها للأمور، والشيخوخة بما تعرفه من تجربة في الماضي والتاريخ وما عمله الأقدمون.

فلنأخذ إذن شعبنا وتاريخ شعبنا طورا فطورا، فإننا نحمد الله أننا شعب شيخ، شيخ لأن تاريخنا مليء بالأمجاد، ومليء بالمكارم، ومليء بالنكسات، ومليء بملاحم الآباء والأجداد، فإذن لسنا في حاجة ــ كلما ألمت ملمة أو كلما وجدنا أنفسنا أمام حدث من الأحداث ــ الى الرجوع الى ما فعله فلان أو تركه هذا الشعب أو قام به ذلك الوطن، لنا من المراجع ولنا في مرآة تاريخنا من قدم وشيخوخة وأصالة وحقيقة تاريخية ما يجعلنا شيخا غنيا لا يفتقر الى تجربة أحد ولا الى استيراد أي شيء من أي أحد، وفي آن واحد نحن شعب كهل، لأننا نقوم الأوضاع حق تقويمها ونحللها التحليل اللازم لها، وحينما نتخذ قرارنا نتخذه عن روية وحكمة ونبقى مستمرين فيه تلك الاستمرارية التي هي الخصلة الأولى لطور الكهولة وهو طور المسؤولية والتمادي في الخطة بعد تحليلها وتقويمها، ونحن في آن واحد شعب شاب لنا من الاقدام ومن العزيمة ومن قوة الابتكار ما تجعلنا هذه الخصال مستعدين للقيام بكل عمل جليل، ومستعدين لتلقي أي تحد من التحديات، ومستعدين أن نقوم بمسيرات على رأس كل عشر سنوات، مسيرات نحو الخير، ومسيرات نحو الاخوة البشرية، ومسيرات نحو النمو الاقتصادي والبشري.

علينا مع ذلك ــ شعبي العزيز ــ أن نحمد الله سبحانه وتعالى على نعمته، لأن المشاكل التي يعرفها العالم تنقسم إلى قسمين : هناك ما يسمى مشاكل هيكلية، وهناك ما يسمى مشاكل امتحانية، حتى يمكن لبعض الدول أن تلتصق بالواقع السياسي والاقتصادي والتجاري والجيوسياسية، فمما نحمد الله عليه أن ما يواجهنا من المشاكل ليس من النوع الهيكلي، لأن هيكل المغرب هو هيكل قديم، ولكن ليس في قدمه ما يجعله باليا، وليس في قدمه ما يجعله منهارا، قديم بمعنى أنه يطابق حقيقتنا الاجتماعية والطبقية، ويطابق سكان باديتنا وسكان حاضرتنا، ويطابق ما كنا فيه وما نريد أن نصل إليه، فإذا كانت هناك بعض الشعوب وبعض الأمم تتساءل في خضم هذا العالم الذي نعيش فيه عن هيكلها أو عن كيفية بناء هيكلها فنحن ــ ولله

الحمد ـــ في حل من هذا، وقد كفانا الله سبحانه وتعالى هذا البحث عن الهيكلية، نعم بقيت ناحية التاريخ، وهو الامتحان، وهو أن يلتصق نظام كل شعب أو كل أمة بحاضره الجغرافي وبما يحيط به عالميا من مشاكل وانعطافات ومتناقضات في العالم وفي الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهنا ـــ شعبي العزيز ـــ يجب علينا أن نبقى متحلين دائما بتجربة شيخوختنا التاريخية وبثبات عزم كهولتنا، وبإقدام شبابنا على التقويم والتحليل، وعلى أن نستبق حتى نلتحم بالواقع ونلصق به على تغيير الاتجاه وأخذ منعطف آخر.

إننا ـــ شعبي العزيز ـــ منذ أن استقل المغرب على يد أبينا جميعا محمد الخامس ـــ طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته ـــ وجدنا أنفسنا مرارا أمام اختيارات وأخذ منعطفات، ولم تكن تلك الاختيارات صائبة دائما، ولم يكن دائما ذلك المنعطف هو منعطف النجاح، ولكن كانت دائما اختياراتنا ومنعطفاتنا تتسم بالأصالة وتصيب هدفها، أو تتسم بالاقدام، فإذا رأيناها لا توافق مصلحتنا ومصلحة مسيرتنا كان لنا من المسؤولية ومن الاطمئنان ما يجعلنا قادرين على الرجوع الى الوراء لأخذ سبل أخرى توصلنا الى الأهداف المتوخاة.

لا أخفي عليك ـــ شعبي العزيز ـــ أنك اليوم، ولما أقول أنك أعني بها نحن جميعا لأننا ذوبنا شخصيتنا جميعا في إناء واحد نكرع منه جميعا ألا وهو إناء الوطنية، وإناء الاستماتة في محبة هذا الوطن العزيز، ذلك الاناء الذي لا ينضب، وذلك الاناء الذي شرب فيه آباؤنا ونشرب فيه وسيشرب فيه أبناؤنا وحفدتنا، علينا ـــ أن نعلم شعبي العزيز ـــ أننا سنواجه في القريب اختيارات خطيرة جدا ليس من الناحية الهيكلية ولكن من الناحية التطبيقية ومن ناحية الالتصاق والالتحام بالواقع وبالأخص في ميادين تهمك وتهمك منذ القدم، ومن شأنها ومن حقك أن تهمك وأننا سنكرس جهودنا في هذه الأشهر الثلاثة التي تسمى بالعطلة الصيفية حتى ننكب بكيفية دقيقة وعملية على مشكل واحد وليس على المشاكل، وهذا صعب ودقيق ألا وهو مصير شبابنا، وبالتالي مصير بلدنا لأن شبابنا هو الذي سيسير بلدنا، وان بلدنا لا يرضى لنفسه ولا يمكن أن يتحمل بالنسبة للتاريخ سيرة قبيحة ومسيرين غير كفاة، شبابنا لا أقول انه ضاع في السنين الماضية، والدليل على هذا أن مغربة جميع الأطر تمت بكيفية تطمئن لا أقول بكيفية ناجحة مئة في المئة، ولكن كيفما كان الحال القطاع العام والقطاع الخاص يسيره مغاربة شباب وكهول، وإذا نظرنا الى مسيرة إدارتنا لا أقول الى تسيير إدارتنا بل أقول الى سيرة إدارتنا فنرى أنها سيرة يمكن أن تباهي دولا أوربية وأمريكية لاتينية بكيفية تبعث على الثقة، ولكن أنت وأنا كلنا جميعا نحس داخل أنفسنا أن هناك عملا جليلا أكثر وأنفع وأنجع يجب القيام به، ان هناك كالا لم نصل إليه، ولكن يجب أن نصل إليه، ونشعر جميعا أن في طريق شبابنا ـــ من خروج الطفل من داره الى المدرسة الى إنهاء دراسته الابتدائية أو الثانوية أو العليا ـــ حوادث سير كثيرة جدا، وأن المعطوبين عددهم كثير، وأن الناجحين في إمكانهم أن يكونوا أحسن بكثير، فلهذا شعبي العزيز دون أن نقضي على مبدأ أو نتنكر لمبدأ مجانية التعليم، لأن التعليم واجب على الدولة، سننظر الى التعليم بكيفية أعدل وأقرب من الحقيقة، لذا اتخذنا قرارا بإعطاء المنح في المستقبل لمن لا يستطيع دراسته الابتدائية أو الثانوية أو العليا.

نعم على أي مقياس؟ نحن ندرس المقاييس، ولكن أعتقد أن المقياس الأكثر إنصافا هو مقياس ما يدفعه كل واحد منا من الضرائب، لأن الأجرة ليست مقياسا، فكم من مستأجر يقبض كذا وكذا ولكن له مما ترك والده أو عمه أو مال زوجته ما يجعل أن هناك تفاوتا بين إمكاناته الجبائية وما يتقاضاه شهريا ظاهريا.

ولهذا إذا نحن أخذنا مقياس الضرائب فليس معناه أننا سنقضي على المشكل، لأن هناك أناسا كثيرين سيبقون يقبضون المنح، ولكن على الأقل سنظهر أولا لأنفسنا أن لنا الشجاعة بأن نقوم بالعدالة الاجتماعية الحقيقية،

وبأن يأخذ القوي بيد الضعيف، الاشتراكية الاسلامية تجعل المومنين والمسلمين كأسنان المشط، فإذن على من له القدرة أن يؤدي على من لا قدرة له.

ثانيا : سنربي جيلنا على العمل والكد والاجتهاد، وسنربي شبابنا على أن كل شيء يجب أن يكون مستحقا.

ثالثا : سنعطي مثالا لأولئك الذين يعينوننا من الصناديق الدولية على أننا لا نمشي مع الديماغوجية ولا مع الخطب السياسية التي تريد وتجعل من الناس المستفيدين زبناء ولكننا نساير الحقيقة والواقع.

وما هو الواقع؟ الواقع أن كل واحد منا أراد أن يأخذ منحة بإمكانه أن يأخذها، اعطيكم مثالا صغيرا فيما إذا تمكن خادمكم الضعيف هذا من أن يعمل لنفسه ورقة وطنية ليس فيها هويته وذهبت الى وزارة التعليم، وقدمت طلب منحة لليسانس في الآداب مثلا، لا شيء يمنع وزير التربية الوطنية من أن يعطيني المنحة، أليس هذا منكرا؟ هذا المثال يمكننا أن نضربه في الألف أو الألفين أو عشرة آلاف نازلة.

وأخيرا ماذا يقع؟ يقع أن التضخم التربوي يزيد سنة عن سنة، فإذا نحن بقينا هكذا ستأتي سنة وفي أقرب مما تظن — شعبي العزيز — سنوقف بناء الطرق والمستشفيات والمطارات والتجهيزات الأساسية والسدود ووسائل الدفاع بحرا وأرضا وجوا في سبيل مسيرين شباب لا ينجح منهم إلا القليل، أما الراسبون فهم على جنبات الطرق تراهم مثل الجثث حية وميتة في آن واحد.

أما برنامجنا فإنه يرمي الى إعطاء أحسن تعليم وأقومه لكل من يستحق نوعا من التعليم، وذلك بالنظر في التعليم المهني، وبالنظر في التكوين المهني، وتكوين الأطر الصغرى والوسطى والعليا، وبالسهر على سد أكثر ما يمكن من الحاجيات في البوادي وفي المدن، وبإعطاء البادية الأسبقية في هذه المدارس متوسطة وعليا حتى يمكن لأهل البادية أن يتقدموا، لأننا قررنا أن نجعل من هذه السنة سنة التغيير في البادية، علينا ألا ننسى هذا حتى نجعل البادية غنية بأطرها العليا والمتوسطة التي تعرف حاجاتها وطقسها، ويمكنها أن تستخرج منها كل خير ونماء، حتى لا نثقل كاهل المدن بأناس كأنهم نفوا من وطنهم، من باديتهم للالتحاق بمدن لا تعرفهم ولا يعرفونها.

لهذا شعبي العزيز، بدأت وقلت لك نحتفل بعيد الشباب.

ما معنى عيد الشباب؟

يجب على المغرب أن يبقى شابا طول عمره كيفما كان عمر ملكه، وهذا الشباب يقتضي منا أن نتحلى بالاقدام، فعمل كهذا يتطلب منا الاقدام ومن هنا أتوجه للأحزاب لأنني أنا منطقي مع نفسي، فنحن نعيش في نظام ملكية دستورية، ملكية دستورية أردتها وأردناها — شعبي العزيز — والملكية الدستورية تقتضي برلمانا، والبرلمان يقتضي وجود أحزاب، فإذا أردت أن أكون وأبقى منطقيا مع نفسي فإني أقول للأحزاب التي يعتبرها الدستور بمثابة المؤطرين السياسيين للجماعات، أقول لهم : كفى من الخطب الديماغوجية، وكفى من التملق للزبناء، ولكن علينا أن ننكب جميعا على مشكل الشباب المغربي، وعلى مأساة الشباب المغربي، مأساة ذلك الشاب وتلك الشابة الذي منذ خروجه للمرة الأولى من بيته يجلس لأول مرة على كرسيه في قاعة الدراسة إلى أن يصل إلى ما وصل إليه، إما معطوبا في أول طريقه وإما معطوبا في وسط طريقه وإما ناجيا، ولكن ليس تلك النجاة التي نريدها، ولكن ذلك الأفق الذي نريده.



علينا أن نأخذ كل هذا بعين الاعتبار وأن نعتبره أمانة في عنقنا، وعلينا أن نعلم ــ شعبي العزيز ــ أننا في بلد يحتاج الى جميع أنواع الأطر كل ذي معرفة مهنية وتقنية وعليا، كل ذي معرفة له محله وله موضوعه من الاعراب.

علينا أن نعلم شعبي العزيز فوق هذا وذاك، أننا في قارة ما زالت من الناحية الكمية في البشر دون ما تقدر عليه من السكان، وأن قارتنا في حاجة الى كل ذي مهنة وعلم، وأن المغاربة أمامهم داخل بلدهم وخارجها في قارتهم واجبات التأطير والأخذ بيد الدول الافريقية الشقيقة كانت غربا أو شرقا أو شمالا أو جنوبا والتي مازالت في حاجة ماسة إلى الحد الأدنى لمن يأخذ بيدها إداريا وتقنيا، وعوض أن تستورد الأجانب عن دينها وعن فضيلتها وعن طقوسها، المغاربة موجودون ليعملوا في قارتهم، لماذا نتوجه كل سنة إلى أوربا لنخوض في اتفاقيات ومفاوضات مضنية مع دول السوق الأوربية بخصوص اليد العاملة لكي لا ينجو من تلك المصيبة

أخيرا إلا الثلث من أبناء عمالنا، وهل تتصورون ــ شعبي العزيز ــ أنه بعد خمسة عشر سنة سيكون هناك جيل،وليس مسؤوليتهم هم، سيكون هناك جيل من الناخبين والمنتخبين، الثلثان منهم سيعود بسحنة شقراء ولكنهم مواطنون لهم حق التصويت ولهم كذلك حق أن يرشحوا أنفسهم ولكن لا يعرفون عن بلدهم أي شيء، ولا يتكلمون أي حرف من لغتهم فإذا ما دعا داع هيا فالصحراء صحراؤنا، المسيرة بالكتاب والعلم، كيف يمكننا أن نواخذهم لأنهم لم يجيبوا كما أجاب إخوانهم، فإذا كان هناك نزوح عن البلد للاشتغال فلنختر قارتنا، على علاتها، قارتنا وأسرتنا الكبرى.

ولهذا شعبي العزيز، كون المنح لا تعطى بكيفية مبدئية، أولا : ستوفر علينا مالا كثيرا، ثانيا : ستجعلنا في منأى عن المحسوبية والوساطات، فالرجل الذي أبوه غني يقرأ بالمنحة، وبما أن المنح غير كافية، فابن الفقير الذي لا يطلب المنحة إلا بعد فوات الأوان يجاب بأنه لم يأت في الوقت المناسب، وعليه فإنه لم تبق هناك منح، فهذا ليس من المعقول وعار في حق شعب وأمة عملت بمذهب المالكية وبالحنفية السمحاء وأرادت أن تكون أمة وسطا، وأرادت أن تكون أمة عدل منذ قرون، عار أن تشجع على مثل هذه الفوارق التي تضر كثيرا بالأسرة، ثالثا : لا معنى ألا نعطي مثالا لمن يقرضنا من الأبناك الدولية على أننا مستعدون لتحمل كل التضحيات، رابعا : هذا سيواكب الأخذ بيد التلميذ المغربي منذ خروجه من بيته حتى يصبح عضوا مشغلا يرجع الى بيته آخر كل شهر بما يعول به أسرته وأقاربه.

وإذا نحن في هذه الشهور الصيفية ــ شعبي العزيز ــ لم نصل إلا الى تسطير هذا بكيفية واضحة وأن نرسم معالمه ومخططه وأهدافه ووسائل أهدافه، وإذا نحن لم نفعل إلا هذا في هذه الشهور الصيفية فلي اليقين أننا أخذنا منعطفا تاريخيا من تلك المنعطفات التي تحدثت معك فيها آنفا، تلك المنعطفات التي بعين كهولتنا جللت وقومت واستندت لأخذ الرأي عن شيخوختها في التاريخ وفضيلتها الدينية والاجماعية وأقدمت على تطبيق اختياراتها بعزيمة الشباب وقوته وحيويته.

ولذا ــ شعبي العزيز ــ كما قلت لك خطب عيد الشباب من أصعب الخطب، لأنه لا يمكن أن يكون الموضوع في الموضوع، ولكن الذي أريد اليوم وللمدة كلها التي يريد الله أن أخاطبك في كل يوم من كل سنة جديدة أن أقول لك دائما : عليك شعبي العزيز أن تحتفل في نفسك وكل يوم من أيامك بعيد شبابك، فالدولة التي تشيب محكوم عليها بالانقراض.



أطال الله عمر شبابك — شعبي العزيز — وآتاك من قوة شبابك ومن منهل شيخوختك ومن عزيمة كهولتك ما يجعلك ذلك الشعب الصامد الواقف وقفة رجل واحد حينما يحصحص الحق، ولنأخذ مثلا على ما أقول أننا منذ 1975 ونحن واقفون كرجل واحد في تخوم صحرائنا، نتحمل ما نتحمل من التضحيات البشرية والمادية، يستشهد من يستشهد منا من عسكريين ومن مدنيين.

وبهذه المناسبة نقف إجلالا وترحما على أرواح شهدائنا الذين يحاربون بالليل والنهار لننام نحن في عزة ومجد واطمئنان من أجل إثبات حقنا رغم الماكرين والمتآمرين.

وقفنا إذن وقفة واحدة، لأن حقنا في صحرائنا أخذناه من تاريخنا إذن من ماضينا، وقرارنا بأن نقف ولو كانت هناك مؤامرات ضدنا تقرير المسؤولية، وقفنا تلك الوقفة المغوارة الشجاعة، لأننا وجدنا في روحنا وقلبنا ودمنا حيوية الشباب التي قال فيها شاعر جيلنا وأستاذ من أساتذتنا في الوطنية الأستاذ علال الفاسي رحمه الله :

كل صعب على الشباب يهون   هكذا همة الرجال تكون

ومرة أخرى — شعبي العزيز — شكرا على قبلاتك وتهانيك، مرة أخرى جعلك الله دائما شعبا شابا من الذين شبوا في طاعة الله، وشبوا في الاستماتة والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل بلدهم، ليجعل الله سبحانه وتعالى منك الشعب الأمثل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويومن بالله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 16 رمضان 1402 — 8 يوليوز 1982